صيانة المرأة المسلمة

العدد : ٢١٠ الموافق في صفر ١٤٢٠ هجري ٦ / ١٩٩٩ ميلادي

عنوان المقال : المرأة حصن الإسلام المنيع	بقلم : د.صلاح الدين النكدلي

وتأتي معركة الحجاب في « البرلمان التركي » لتذكير الدنيا بأسرها أن هناك قضايا لم تحسم بعد في العالم الإسلامي ، بل وخارج حدود بلاد المسلمين ، ويأتي في مقدمة هذه القضايا « مرجعية المجتمعات والجماعات والأفراد » ومقتضيات هذه المرجعية على مستوى الأمة وعلى الصعيد الفردي .

ومن المؤسف أن تكون المرجعيات الغربية الوافدة ، والمفروضة على المسلمين داخل أوطانهم - مدثرة بشعارات الإنسانية والحرية والمساواة - هي أداة القمع والظلم ومحاصرة مرجعية المسلمين الأصلية « الإسلام » حتى داخل بلادهم !

ولم يعد غريباً في هذه الأجواء أن يكون التزام المرأة المسلمة بالحجاب دليلاً على انتشار « البراء » من العقائد والفلسفات المناقضة للإسلام ،وعلى « الولاء» للإسلام : عقيدة ، وعبادة ، وأخلاقاً ، وشريعة . وصار المتغربون الذين يملكون السلطان يرون في قمع ظاهرة الحجاب انتصاراً على الفكرة الإسلامية ، وأضحى معلوماً لدى قطاع كبير من الناس أن الفراعنة والقوارين المحليين والدوليين يعملون جاهدين على منع المسلمين من العودة الحميدة إلى الإسلام ، واعتباره منهج حياة كامل ، ويتوسلون لتحقيق ذلك بإشاعة التحلل الأخلاقي عن طريق إفساد المرأة ، واللجوء إلى العنف إذا لم تنفع - في تقديرهم - وسائل الإغراء والإفساد . وإلى هاتين الوسيلتين أشار حديث رسول الله e : " صنفان من أهل النار لم أرهما بعد : قوم معهم سياط كأذناب البقر يضربون بها الناس ، ونساء كاسيات عاريات ، مميلات مائلات ، رؤوسهن كأسنمة البُخت المائلة ، لا يدخلن الجنة ، ولا يجدن ريحها ، وإن ريحها ليوجد من مسيرة كذا وكذا " [رواه مسلم وأحمد].

وما جرى من قمع داخل أعلى مؤسسة تشريعية في تركيا قد تكرر مثله في هذا القطر وغيره من بلاد المسلمين ، فهناك أنظمة حكم - وبخاصة في المنطقة العربية - تمارس اضطهاد الملتزمين والملتزمات بصمت ، وهناك من يعلن حرباً شعواء ، ويصدر قرارات ومراسيم تحرم لبس « الحجاب السياسي » أو « الحجاب الطائفي » !! معتبرين أن تخلي المرأة عن حجابها بداية استسلام وانهيار فكرة الالتزام بالإسلام داخل البيوت ، وهذا مهم في معركتهم .

ووصلت عدوى قمع الالتزام بالإسلام عن طريق محاربة « حجاب المرأة المسلمة » إلى دول أوروبية ، وصار الحديث عن الحجاب موضوعاً مثيراً على مستوى أصحاب القرار ، ووسائل الإعلام .

وخلّف هذا الموقف السلبي تصرفات متشنجة لدى قطاعات من الشعوب الأوروبية . وعبرت عن ذلك بمضايقة المحجبات في المدارس ، وعدم إعطاء المحجبات حقهن في العمل...

وهذا الذي نشير إليه يذكرنا بإصرار الاستعمار الأوروبي المباشر والإرساليات التبشيرية على الوصول إلى نساء العالم الإسلامي مستغلين مرحلة الجهل والانبهار بأوروبا ، واستطاعوا أن يزرعوا عند قطاع من بنات المسلمين شبهات وشهوات ، وظنوا أنهم قد وصلوا إلى ما يريدون ، ثم فاجأتهم الحركة الإسلامية التجديدية بإبراز مكانة المرأة المسلمة في التصور الإسلامي ، وتضافرت النهضة التعليمية مع جهود الصحوة الإسلامية ، فأوجدت أجيالاً من المؤمنات اللاتي اقتحمن ميدان المعرفة ، وميادين الدعوة والبناء ، ونمت كفاءات نسائية علمية وفكرية ، وإصلاحية .. وهذا سبّب قلقاً لدى التيار الذي تبنى « علمنة العالم الإسلامي » لأنهم يعلمون أن المرأة المؤمنة الداعية ستعمل داخل البيت وخارجه - وبهدوء - على تنشئة أجيال مسلمة واعدة تتبنى الفكرة الإسلامية وهذا مصدر إزعاج لهم إذ يهدد ما بنوه بالأفول والزوال .

إن الهجوم على حجاب المرأة المسلمة يعني ببساطة أن النساء المسلمات هن حصن العقيدة المنيع ، وأن المرأة حين تؤمن بقضية فإنها تبادر إلى التمسك بها والدعوة إليها : فكرياً وعاطفياً وتربوياً ، وهل هناك دليل أقوى من لبس الحجاب في أجواء مكفهرة ومنكرة لحق المسلم في فهم الإسلام وفي الالتزام به كما أنزله الله عز وجل ؟.

وهل هناك دليل أقوى من كون المسلمة التقية من أهم قواعد التجديد الإسلامي عندما تثبت أمام الاستهزاء ، وفي وجه التضييق ؟

إن عدداً كبيراً من المسلمات اليوم ليذكروننا بأول المؤمنات الصابرات المجاهدات خديجة رضي الله عنها ، وبأول شهيدة في الإسلام سمية التي مضت إلى ربها مع زوجها ياسر t ، وبعالمة النساء عائشة بنت الصديق رضي الله عنهما.

وهذا يثلج الصدر من ناحية ، ويفرض على الحركة الإسلامية أن ترفع مستوى اهتمامها بالعمل النسائي على كل المستويات ، ويفرض على النساء فقه سنة التدافع فيصبرن ويصابرن ويرابطن .. وأن يذكرن قول الله تعالى : { **لتبلون في أموالكم وأنفسكم ولتسمعن من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين أشركوا أذىً كثيراً وأن تصبروا وتتقوا فإن ذلك من عزم الأمور** } [آل عمران : ١٨٦]